@AnteliasDiocese
anteliasdiocese.com

عنوان الأحد الأحد الرابع من زمن الصوم: أحد مثل الإبن الشاطر

الأخت دولّي شعيا (ر.ل.م.)

(٢ قور١٣: ٥-١٣)

٥ اخْتَبِرُوا أَنْفُسَكُم، هَلْ أَنْتُم رَاسِخُونَ فِي الإِيْمَان. امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُم. أَلا تَعْرِفُونَ أَنَّ المَسِيحَ يَسُوعَ فِيكُم؟ إِلاَّ إِذَا كُنْتُم مَرْفُوضِين!

٦ فَأَرْجُو أَنْ تَعْرِفُوا أَنَّنَا نَحْنُ لَسْنَا مَرْفُوضِين!

٧ ونُصَلِّي إِلى اللهِ كَيْ لا تَفْعَلُوا أَيَّ شَرّ لا لِنَظْهَرَ نَحْنُ مَقْبُولِين، بَلْ لِكَي تَفْعَلُوا أَنْتُمُ الخَيْر، ونَكُونَ نَحْنُ كَأَنَّنَا مَرْفُوضُون!

٨ فَإِنَّنَا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ضِدَّ الحَقّ، بَلْ لأَجْلِ الحَقّ!

٩ أَجَلْ، إِنَّنَا نَفْرَحُ عِنْدَمَا نَكُونُ نَحْنُ ضُعَفَاء، وتَكُونُونَ أَنْتُم أَقْوِيَاء. مِنْ أَجْلِ هذَا أَيْضًا نُصَلِّي لِكَي تَكُونُوا كَامِلِين.

١٠ أَكْتُبُ هذَا وأَنَا غَائِب، لِئَلاَّ أُعَامِلَكُم بِقَسَاوَةٍ وأَنَا حَاضِر، بِالسُّلْطَانِ الَّذي أَعْطَانِي إِيَّاهُ الرَّبّ، لِبُنْيَانِكُم لا لِهَدْمِكُم.

١١ وبَعْدُ، أَيُّهَا الإِخْوَة، إِفْرَحُوا، وَاسْعَوا إِلى الكَمَال، وتَشَجَّعُوا، وكُونُوا عَلى رَأْيٍ وَاحِد، وعِيشُوا في سَلام، وإِلهُ المَحَبَّةِ والسَّلامِ يَكُونُ مَعَكُم!

١٢ سَلِّمُوا بَعْضُكُم عَلى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَة. جَمِيعُ القِدِّيسِينَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْكُم.

١٣ نِعْمَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ المَسِيح، ومَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ القُدُسِ مَعَكُم أَجْمَعِين!

مقدّمة

في هذا الأحدِ الذي يتوسّطُ زمنَ الصَّوم، تدعونا كنيستُنا المارونيّةُ إلى التَّأمّلِ برحمةِ اللهِ الَّتي لا حدود لها، وبأنّها مجّانيّة ولا فضل للإنسان فيها. يدعونا القدّيس بولس في رسالته (٢ قور١٣: ٥-١٣)، إلى التذكُّرِ أنَّه إن تحرَّرنا من الخطيئةِ برحمةِ اللهِ، ألَّا ننسى أنَّ اللهَ هو الَّذي دعانا لنكون أحرارًا، "والمسيح فينا" (٢ قور١٣: ٥). إنَّها هبةٌ منه كما الحرّيَّة والبنوَّة "لجهلِ الابنِ الأصغرِ"، في مثل الابن الشَّاطر، "من ذاك الحبِّ الأكبر" (مزمور القراءات في خدمة قدّاس أحد مثل الابن الشَّاطر) الَّذي هو هبةٌ مجّانيَّةٌ من أبيه لا لأنَّ الابنَ كان مستحقًّا. فالمحبَّةُ هي التجاوبُ الحقيقيُّ والتَّعبيرُ الصَّحيحُ عن قبولِنا هذه الحرّيَّة والعمل بها إيجابيًّا "لأجل الحقِّ" (٢ قور١٣: ٨).

سمَتَان تميّزان هذا المقطع الأخير من رسالة القدّيس بولس الثَّانية إلى أهل قورنتس: الأولى، استخدامه أفعال التمييز (٢ قور١٣: ٥-٧):

"اختبروا"، "امتحنوا"، "تعرفوا"، "تفعلوا"، "مرفوضين" و"مقبولين"؛ والثّانية، حيث يبدو أنّ مشاعر بولس تتأرجح بين الرجاء والخوف من جهة أهل قورنتس. يأمل أن يكتشفوا أنّه "ليس مرفوضًا" (٢ قور ١٣: ٦)، وأنّه في زيارته القادمة لن يضطرّ إلى التعامل معهم بقسوة، ويصلّي لأجلهم "ليكونوا كاملين" (٢ قور ١٣: ٩). مع ذلك، لديه مخاوف كثيرة بشأن أساليبهم الانقساميّة وغير الأخلاقيّة المستمرّة (راجع ٢ قور ١٢: ٢٠-٢١)، ويخشى أن يُضطرّ عند مجيئه إلى التصرُّف بصرامةٍ لا هوادةَ فيها (٢ قور ١٣: ١٠). هذه الخشية واضحة جدًّا في صلاة بولس (راجع ٢ قور ١٣: ٧)، "كي لا يفعلوا أيّ شرّ" (ما يعكس خوفه)، بل "أن يفعلوا الخير" (ما يعكس رجاءه).

شرح الآيات

٥ اخْتَبِرُوا أَنْفُسَكُم، هَلْ أَنْتُم رَاسِخُونَ في الإِيْمَان. امْتَحِنُوا أَنْفُسَكُم. أَلا تَعْرِفُونَ أَنَّ المَسِيحَ يَسُوعَ فِيكُم؟ إِلاَّ إِذَا كُنْتُم مَرْفُوضِين!

عندما طُلِب من بولس أن يقدّم دليلًا على كونه رسولًا للمسيح في قورنتس (راجع ٢ قور ١٣: ٣)، أجاب بولس محذّرًا أنّه في زيارته التالية "لن يشفق على الّذين خطئوا" (٢ قور ١٣: ٢). والآن يتحدّاهم باستخدامٍ متكرّر للضّمير العائد اليونانيّ heautoús "أنفسكم"، الّذي يؤكّد على موقف بولس أنّه على أهل قورنتس أن "يختبروا أنفسهم ويمتحنوها"، ويفحصوا وضعهم وسلوكهم عوضًا عن التدقيق في سلوك بولس كرسول.

بعدَ الدّعوةِ الّتي وجّهها بولسُ إلى أهل قورنتس ليدقّقوا في سلوكِهم ومواقِفهم، ناشَدَ ما يطالُ وعيَهم الّذاتيّ. ما افترضه بولس هو أنّهم كانوا يتيقّنون من حقيقة حضور "المسيحِ يسوعَ في كلّ واحدٍ منهم" وأنّه فاعلٌ في جماعتهم. لكن لم تكن هذه الحقيقة بالذات هي الّتي احتاجوا إلى أن يذكّرهم بها فحسب، بل بالأخصّ ما أشارت إليه هذه الحقيقة في حياتهم المسيحيّة، أي حاجتهم إلى الاستمرار في الالتزام بالإيمانِ - كما تجسّدَ في بولسَ وفي إنجيلِهِ - بالابتعادِ عن طرقِهم الأخلاقيّةِ الفاسدةِ، وبتغييرُ موقفهم تُجاهَ أبيهم الرُّوحيّ.

٦ فأَرْجُو أَنْ تَعْرِفُوا أَنَّنا نَحْنُ لَسْنا مَرْفُوضِين!

يرجو بولسُ أن يقتنعَ أهلُ قورنتس بأنّه "ليس مرفوضًا"، بل هو "سفيرٌ حقيقيٌّ للمسيح" (راجع ٢ قور ٥: ٢٠). فإيمان أهل قورنتس وإيمان بولس الحقيقيّان مرتبطان ارتباطًا وثيقًا؛ فإمّا أن يقفا معًا أو أن يسقطا معًا. فإن كانوا هم مؤمنين حقيقيّين، كان هو رسولًا حقيقيًّا، لأنّهم آمنوا على يده (راجع ٢ قور ١: ١٩؛ ٣: ١-٣؛ ١١: ٢). أمّا إن كان إيمانهم مزيّفًا، فكذلك تكون رسوليّة بولس.

٧ ونُصَلِّي إِلى اللهِ كَيْ لا تَفْعَلُوا أَيَّ شَرٍّ لا لِنَظْهَرَ نَحْنُ مَقْبُولِين، بَلْ لِكَي تَفْعَلُوا أَنْتُمُ الخَيْر، ونَكُونَ نَحْنُ كَأَنَّنا مَرْفُوضُون!

قد تكون الآيةُ السَّابقة قد تركَتْ انطباعًا لدى أهل قورنتس بأنَّ قَصْدَ بولس تزكيةُ نفسِهِ لا منفعتهم. لذلك، يشرعُ في هذه الآيةِ بتصحيحِ سوءِ الفهمِ المحتمَلِ من خلالِ طمأنتِهم عن أولويَّةِ خلاصِهم. كان همُّ بولسُ الأساسيُّ، كما يتَّضحُ من صلاتِه، أن يرفضَ أهل قورنتس كلَّ الخلافاتِ، وأن يسعوا وراءَ السّلوكِ الصَّحيحِ، بدل الانشغالِ بتأكيدِ أصالةِ بولسَ الرَّسوليةِ.

٨ فَإِنَّنا لا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَفْعَلَ شَيْئًا ضِدَّ الحَقّ، بَلْ لأَجْلِ الحَقّ!

يكمّل بولس توضيحه أنَّه، كخادمٍ للمسيح، لا يستطيع أن يقدّم لهم تعاليم باطلة "ضدّ الحق"، إنَّما ما يستطيع فعله هو "لأجل الحق". والحقّ هو "المسيح نفسه"، حيث يجذب بولس النُّفوس إلى المسيح، لا إلى شخصه.

عندما يسودُ الحقّ أو السلُّوك المسيحيُّ الأصيلُ، وعندما تكون هناك توبةٌ واستقامةٌ، فما من داعٍ للتأديبِ. لكن عندما يكونُ الحقُّ غائبًا، وعندما يكونُ هناك عصيانٌ وعدمَ توبةٍ، يتطلَّبُ الوضعُ، عندها، إجراءاتٍ تأديبيَّة. وكأنَّ بولس هنا يؤكّد أنَّه إن كان يعاملهم بلطفٍ وحنوّ أو إن أمسك عصا التأديب، فلا يشغله أمرٌ آخر سوى "إنجيل المسيح".

٩ أَجَلْ، إِنَّنا نَفْرَحُ عِنْدَما نَكُونُ نَحْنُ ضُعَفَاء، وتَكُونُونَ أَنْتُم أَقْوِيَاء. مِنْ أَجْلِ هـذَا أَيْضًا نُصَلِّي لِكَي تَكُونُوا كَامِلِين.

ما يقولُه بولسُ هنا دليلٌ على التزامه في العملِ "من أجل الحقّ" (٢ قور١٣: ٨). وهو يفرح عندما يكونُ مؤمنو قورنتس أقوياء في الإيمان. من المحتمل أن يكون الضّعف الَّذي يتكلَّم عليه بولس هنا هو الخدمة والتكرُّس الكليّ الَّذي ميَّز خدمته الرَّسوليَّة بكاملها. لكنَّ سياقَ النصّ يشيرُ إلى معنىً آخرَ أكثرَ تحديدًا؛ يكون بولس ضعيفًا عندما يبدو أنَّه مرفوض، ولا يحتاج إلى إظهار سلطته الرَّسوليَّة في ممارسة التأديب.

بمعنىً آخر، يؤكّدُ الرسولُ بولسُ هنا أبوَّته في قبولِ الحكمِ عليه بالضعف والخطأ، لأجل أن يكون أهل قورنتس أقوياء وصالحين. لا بل يتمنَّى أن ينموا في حياتهم "ليكونوا كاملين".

١٠ أَكْتُبُ هـذَا وأَنا غائِب، لِئَلاَّ أُعَامِلَكُم بِقَسَاوَةٍ وأَنا حَاضِر، بِالسُّلْطَانِ الَّذي أَعْطَانِي إِيَّاهُ الرَّبّ، لِبُنْيَانِكُم لا لِهَدْمِكُم.

إن كان القسم الأوَّل من هذا الفصل من الرسالة (٢ قور ١٣: ١-٤) هو تحذيرٌ بشأن التأديب الوشيك، فالقسم الثَّاني منها (٢ قور ١٣: ٥-١٠) هو إرشادٌ لتجنُّب هذا التأديب. من خلال الإشارة هنا إلى هدف كتابته، يُظهر بولس رغبته الشَّديدة في أن يجعل أهل قورنتس تأديبه

غير ضروريّ، من خلال توبتِهم وارتدادِهم. هذا ما يعني أنَّ هدفَ بولسَ من الكتابة هو تجنُّب الاضطرارِ إلى ممارسةِ التأديبِ الصَّارم.
كذلك، ومن دون شكّ، فإنَّ صلاة بولس الَّتي رفعها سابقًا من أجل أهل قورنتس (راجع ٢ قور١٣: ٧-٩) تعكسُ أيضًا هدفه من الكتابة. بعبارةٍ أخرى، يودُّ بولس أن يُظهر سلطانه في كلماته، لكنَّه لن يستخدمها عمليًّا. فقد ترك المجال لأهلَ قورنتس كي "يختبروا أنفسهم" و"يمتحنوا أنفسهم" ليبلغوا إلى النتيجة المرجوَّة في أنَّهم إن لم يصحّحوا الوضع، فسيأتي حتمًا ويضطرّ إلى استعمال "القساوة...لبنيانهم لا لهدمهم"، أي لتأديبهم، لا لمعاقبتهم.

١١ وبَعْدُ، أَيُّهَا الإِخْوَة، إِفْرَحُوا، وَاسْعَوا إِلى الكَمَال، وتَشَجَّعُوا، وكُونُوا عَلى رَأْيٍ وَاحِد، وعِيشُوا في سَلام، وإِلـهُ المَحَبَّةِ والسَّلامِ يَكُونُ مَعَكُم!

كما افتتحَ الرسالةَ بالتَّشجيع والتعزيةِ، هكذا يختم بولس الرّسالة بالفرح، مؤكّدًا محبَّته للجميعِ والبركةِ الرسوليَّة الَّتي لا تستثني أحدًا. فكلّ ما تبقَّى لبولس هو أن يختم رسالته متمنّيًا أن يتمتَّع الكلّ بالفرح، لا الفرح الموقَّت، بل السعادة الدَّائمة. فهو لم يكتب لهم ليبعث فيهم روح الحزن، بل يطلب لهم أن "يفرحوا"، وأن "يسعوا إلى الكمال" معًا، أي أن يرتبطوا معًا برباط الحبّ والمشاركة، وهذا ما يبني الكنيسة. كما وينصحهم أن "يتشجَّعوا" ويقبلوا نصيحته ليمتلئوا بسلامٍ داخليّ، حتَّى إذا تعرَّضوا لاضطهاداتٍ أو إلى ضيقاتٍ أيًّا كان مصدرُها يمكنهم أن "يكونوا على رأيٍ واحد"، من دون انقسامٍ أو انشقاق. فيكون لهم إيمانٌ واحد وهدفٌ واحد هو "المسيح يسوع". هذا ما يجعلهم يتعهَّدون بأن "يعيشوا في سلام" باحثين عن سلام الجميع، من دون أن يسمحوا للَّذين يختلفون معهم في الرأي بأن يُفقدوهم سلامهم الداخليّ. وفوق كلّ ذلك، "إله المحبَّة والسَّلام" هو مصدر الحبّ والوحدة، ويشتهي أن يتمتَّعوا بالسَّلام معه، ومع أنفسهم، ومع إخوتهم. "يكون معهم" ويثبت فيهم.

١٢ سَلِّمُوا بَعْضُكُم عَلى بَعْضٍ بِقُبْلَةٍ مُقَدَّسَة. جَمِيعُ القِدِّيسِينَ يُسَلِّمُونَ عَلَيْكُم.

اعتاد المؤمنون في الكنيسة الأولى أن يقبّلوا بعضُهم بعضًا علامةَ الحبِّ والوفاقِ والوحدة، فهم قلبٌ واحدٌ (أعمال ٢: ٤٦)، وروحٌ واحدةٌ (أعمال ٤: ٣٢). فلا خلاف بين أعضاء الجماعة، وإلَّا لأُجبروا على ترك تقدمتهم على المذبح قبل أن يشاركوا في عشاء الربّ. في هذا المجال نفهمُ كلامَ بولسَ في نهايةِ الرسالةِ: "سلّموا بعضكم على بعضٍ بقبلةٍ مقدَّسة" (٢ قور١٣: ١٢).
ولكن لماذا الكلام على القبلة هذه في أحد مَثَل الابن الشَّاطر؟
هذه القبلة هي علامة المحبّة. يمنحُها اللهُ لكلّ واحد منَّا، فنمنحها بدورنا إلى الآخرين. إذا كان الله ينبوعَ المحبّةِ، فكلُّ محبّةٍ في الكونِ تصدُرُ عنه. هو أحبّنا أوّلاً، ويدعونا إلى أن نُبرهِنَ عن حبِّنا عبرَ موقفٍ عمليٍّ. العودةُ إلى البيتِ الأبويِّ بالتَّوبةِ والاعترافِ بالخطيئةِ، اقترابٌ من الوالد

بدالّة الأبناء الأحبّاءِ. اقترابٌ من أخٍ قد لا يريد عودتَنا. ذاك هو جوّ "القبلة المقدّسة" (رتبة السَّلام في نوافير القدَّاس الماروني) في احتفالنا بعشاءِ الربّ، بالقدّاس الإلهي، ولا سيّما يوم الأحد.

١٣ نِعْمَةُ الرَّبِّ يَسُوعَ الـمَسِيح، ومَحَبَّةُ اللّه، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ القُدُسِ مَعَكُم أَجْمَعِين!

إنَّها البركة الَّتي منها اقتُبِسَت بدايةِ الصَّلاةِ القربانيَّة في القدَّاس: "محبَّة اللّه الآب ونعمة الابن الوحيد وشركة وحلول الرَّوح القدس مع جميعكم يا إخوتي إلى الأبد" (بداية الصلاة القربانيَّة في القدَّاس الماروني)، ولكنَّ بولس عكس هنا التَّرتيب إذ بدأ بالابن قبل الآب. لماذا؟

تعكس هذه البركة ثلاثة أسبابٍ لأولويَّة المسيح:

١. **مشكلة أهل قورنتس الأساسيَّة هي في انتمائهم إلى المسيح.** هذا ما عبَّر عنه بولس سابقًا في النَّص: "ألا تعرفون أنَّ المسيح يسوع فيكم؟" (٢ قور ١٣: ٥).

٢. **نعمة المسيح هي الوسيلة الَّتي يصل بها المؤمن إلى محبَّة اللّه**، كما يعبّر عنها بولس في مكانٍ آخر: "ما من شيءٍ يفصلنا عن محبَّة اللّه الَّتي في المسيح يسوع ربّنا" (روم ٨: ٣٩). من خلال نعمة المسيح الَّتي بانت على الصَّليب، أظهر اللّه محبَّته. وهكذا يشاركُ المؤمنُ في حياة الرَّوح القدس وتتكوَّن الجماعة.

٣. **لا تصفُ هذه الآيةُ الأخيرةُ من الرِّسالةِ التّراتبيَّةِ في الثَّالوثِ الأقدس**، إنَّما ترتيب اختبار المؤمن في اللّه: فهو يتعرَّف إلى المسيح ليلتقي باللّه الآب ويقبل الرَّوح القدس.

خلاصة روحيّة

مهما غرِقَ الانسانُ في الخطيئةِ فسوف يسمعُ صوتَ اللّهِ يدعوه في أعماقِه: "آدم أين أنت؟" (تك ٣: ٩). قد يختبئ الانسان من وجه الربّ، ولكنَّ الرَّبَّ يبحثُ عنه لأنَّ محبّته مجانيَّة. الانسان مسؤول عن نفسه وعن الآخرين. ولهذا سألَ اللّهُ قايينَ: "أين هابيل أخوك؟" (تك ٤: ٩). أنت حارسٌ لأخيك سواء قبِلتَ ذلك أو أنكرت. وإذا أردت أن تعيش وحدك، تصير "طريدًا، شريدًا، في الأرض" (تك ٤: ١٤).

والمؤمنون الذين نالوا سرّ العماد، أتراهم بلا جذور؟ هل تركهم المسيح مثل إناء فارغ على سطح الموج؟ لا! "المسيح هو فيهم" (٢ قور ١٣: ٥). لذلك، "ما عادوا يحيون لأنفسهم، بل للمسيح الحيّ فيهم" (غل ٢: ٢٠). هذا المسيح الذي أحبّنا، وضحّى بنفسه من أجلنا، لن يدعنا وشأننا، بل يذهب باحثًا عنَّا، ولا يعود إلَّا وهو يحملنا على كتفه، ويفرح برجوعنا، مثل الراعي الَّذي وجد خروفه الضالّ، والمرأة التي وجدت درهمها الضائع. "المسيح هو فينا"، وحضوره يجتذبنا دومًا إلى الآب، لنسعى "إلى الكمال" (٢ قو ١٣: ١١).

إلى هذا الكمال دعا يسوع تلاميذه، "ليكونوا كاملين على مثال الآب السماويّ" (متّى ٥: ٤٨). وتبدأ الطريق بالثَّبات في الإيمان، الَّذي لا يجعل محبّتنا تخفّ أمام أوَّل صعوبة: "إنَّكَ ثابتٌ...

ولكن لي عليكَ أنَّك تركتَ محبَّتكَ الأولى. فتذكَّر إذًا من أين سقطتَ وتُب" (رؤ ٢: ٣أ، ٤-٥أ). وما الهدف سوى "أن نعمل كلَّ شيءٍ لأجل الحقّ" (٢ قور ١٣: ٨)، لأنَّ المسيح "هو الحقّ" (يو ١٤: ٦)، وحين نسير في الحقّ نبلغ الحياة.

تلك هي الدعوة الَّتي دُعينا إليها. والرسول بولس شعر بأنَّه مسؤولٌ عن المؤمنين الَّذين دُعوا إلى اتّباع المسيح. لذلك، فهو يعاملهم بالوداعة عادةً، وبالقساوة إن اقتضى الأمر. اعتبروه ضعيفًا، فما أنكر ضعفه تجاه قوَّة أهل قورنتس الَّتي ما هي إلَّا استنادٌ إلى معاييرَ بشريَّةٍ. لكنَّه أدهشهم حين رأوا أنَّه "ما يبدو أنَّه حماقة من اللّٰه هو أحكم من النَّاس، وما يبدو أنَّه ضعفٌ من اللّٰه هو أقوى من النَّاس" (١ قور ١: ٢٥).